الطرائق التعليمية في فكر الامام الصادق عليه السلام - طريقة المناظرة أنموذجاً

المدرس
عتاب بسيم مشكل السوداني
جامعة الكوفة ـ كلية التربية الاساسية

امتاز الإمام جعفر الصادق عليه السلام بالعلم والمعرفة، وبتعدد طرائق عرضه، فتارة نجده يعرض لطلابه بطريقة الحلقات العلمية، وتارة من خلال استخدام طريقة الحوار، وتارة أخرى من خلال استخدام طريقة الاستجواب وتارة استخدام طريقة المناظرة (موضوع بحثنا)، وكان عليه السلام يؤمن بالتجربة والنظر العقلي والجدل طريقاً الى الايمان، وأسلحته معرفته الواسعة العميقة بالعلوم في الاستدلال والإقناع، وجذب أصحاب العقول المبتكرة الى الدين.... وكان عليه السلام يطالب الناس أن يفكروا ليعرفوا الله، حتى يستقر إيمانهم على أساس وطيد.... كما كان يعتمد في حواره على الأدلة العلمية، وعلى الاستقراء والاستنباط لا على المسلمات. ومن هنا جاءت فكرة بحثي هذا والمتضمن مبحثين الأول تناولت فيه طريقة المناظرة مفهومها، خطواتها خصائصها ومميزاتها وعيوبها، أما المبحث الثاني فتناولت فيه استخدام الامام الصادق عليه السلام طريقة المناظرة كطريقة تعليمية.

المبحث الأول

طريقة المناظرة

المناظرة لغة:

من النظير، أو من النظر بالبصيرة، والنظر والمنظرة: ما نظرت إليه فأعجبك أو ساءك.... النظر: الفكر في الشيء تقدره وتقيسه منك، او: أن تناظر أخاك في أمر إذا نظرتما فيه معاً كيف تأتيانه[١]

المناظرة اصطلاحاً:

النظر بالبصيرة من الجانبين في النسبة بين الشيئين إظهاراً للصواب[٢].

أو هي المحاورة في الكلام بين شخصين يقصد كل واحد منهما تصحيح قوله وإبطال قول الآخر، مع رغبة كل منهما في ظهور الحق، فكأنها بالمعنى الاصطلاحي مشاركتهما في النظر الذي هو الفكر المؤدي الى علم أو غلبة ظن ليظهر الصواب[٣].

أنواع المنظارات:

تباينت آراء الدارسين والباحثين حول أنواع المناظرات، إلا أن الرأي الغالب هو أن المناظرات نوعان:

١.المناظرات الواقعية:

وهي المناظرات التي دارت على أرض الواقع و: ابطالها من البشر على اختلاف مناهلهم ومشاربهم " [٤] فهي تصور الواقع وتنقل أحداثه مستمدة من التجارب الحية التي دارت حولها موضوع المناظرة مثل: مناظرة النعمان بين المنذر وكسرى أبو شروان في شأن العرب[٥].

٢.المناظرات الخيالية:

وهي المناظرات التي أقيمت على ألسنة الحيوانات أو اختصت بالأشياء والجماد " وهي تتسم غالباً بطابع المفاخرة وهو في الإنشاء العربي الواسع وقد تفنن الكتبة فيه، فنطقوا بلسان الأزهار والعلوم وأدوات الملك وغير ذلك كل هذه المفاخرات من قبيل الرسائل الأدبية وهي تجري على وتيرة واحدة من حيث المحاورة في المفاخرة الذاتية والتزام السجع والبديع [٦]، فهي تلك المناظرات التي تعتمد على الخيال الذي يحرك الجمود أو يصور الكائنات الحية فيجعلها تنطق وتتحاور.

أركان المناظرة:

الركن الأول: موضوع المناظرة.

وموضوعها إما يتلق بالعقيدة، مثل المسائل التي خالف فيها أصحاب الفرق المبتدعة عقيدة أهل البيت عليهم السلام

الركن الثاني: المتناظران.

فهما طرفان يبغيان بلوغ الحق يسمى البادئ(عارض الموضوع) معللا، والمعترض

سائلا، وقد يتغير الأمر أثناء المناظرة، فينقلب السائل معللا، والمعلل سائلا، ويشترط وجود تقابل بين المتناظرين لكون كل واحد ينظر للأخر حتى يكمل كلامه في موضوع.[٧]

شروط المناظرة:

تقوم المناظرة على عدة شروط وهي:

- أن يكون المتناظران على معرفة بقواعد ومستلزمات المحاورة؛ من أصولها آدابها.
- أن يكون المتناظران على علم بالموضوع المطروح للنقاش والتناظر؛ حتى يتكلم كل واحد منهما ضمن الوظيفية المأذون له بها، وذلك طبقاً لقواعد المناظرة وضوابطها المتعارف عليها، ولكيلا تصطبغ هذه المناظرة بطابع عشوائي[٨]
- أن يكون الموضوع مما يجري التناظر فيه وليس من البديهيات والمسلمات.
- أن يجري المتناظران مناظرتهما على عرف واحد، فإذا كان الكلام على عرف الفقهاء، فلا يلجأ الطرف الثاني الى عرف النحاة أو الفلاسفة ونحو ذلك[٩]

فإذا توفرت هذه الشروط الأربعة يسهل الوصول الى الحق وتقبله من الطرفين.

آداب المناظرة:

- الاحتراز عن الإيجاز والإطناب
- الاحتراز عن الألفاظ الغريبة
- الاحتراز عن اللفظ المجمل
- الاحتراز عن الدخل في كلام الخصم قبل الفهم
- الاحتراز عن التعرض لما لا دخل له في المقصود
- الاحتراز عن الضحك ورفع الصوت أثناء المناظرة
- الاحتراز عن استحقار الخصم، ما تؤول إليه المناظرة؛ وهو إسكات الخصم وإفحامه[١٠].

فوائد المناظرة:

- التزام الطرق الصحيحة والسليمة في الإقناع كتقديم الأدلة المقنعة، وعدم تعارض أو تناقص الأدلة المقدمة بعضها مع بعض.
- التمكن من استخدام اللغة بكفاءة وفعالية في مجالات مختلفة.
- تعزيز المهارات المعرفية بما في ذلك مهارات: الفهم والاستيعاب والملاحظة والتذكير والتحليل والاستنتاج[١١].

المبحث الثاني

تطبيقات طريقة المناظرة في فكر الامام الصادق عليه السلام

امتاز الامام الصادق عليه السلام بالعقلية الفذة المبتكرة، كما امتاز بالموهبة والإبداع. كان عليه السلام عالماً وأستاذاً لا يدانيه أحد من العلماء ولا ينافسه أستاذاً أو صاحب معرفة، فقد كان قمة شامخة ومجداً فريداً فجر ينابيع المعرفة. وسوف نتطرق في هذا المبحث الى احد الطرق التي استخدمها الإمام جعفر الصادق عليه السلام في تعليمه لطلابه وهي طريقة المناظرة العلمية.

يروى أن قوماً أتوه يظهرون الزهد (المبالغ به)، ويعدون ذلك هو الصورة العليا للزهادة ويريدون من الإمام عليه السلام أن يكون على مثل حالهم، فناظرهم في ذلك:

قال عليه السلام: هاتوا حججكم.

قالوا: حجتنا في كتاب الله.

قال لهم: فأدلوا بها، فإنه أحق ما اتبع وعمل به.

قالوا له: يقول الله تبارك وتعالى مخبراً عن قوم من أصحاب النبي ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[١٢] فمدح فعلهم، وقال في موضع آخر: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾[١٣] فنحن نكتفي بهذا

قال رجل من الجلساء: إنا رأيناكم تزهدون بالأطعمة الطيبة، ومع ذلك تأمرون الناس بإخراج أموالهم حتى تتمتعوا بها أنتم.

قال الامام الصادق عليه السلام: دعوا عنكم ما لا ينفع به. أخبروني أيها النفر، ألكم علم بناسخ القرآن من منسوخه، ومحكمه من متشابهه، الذي ف مثله ضل من ضل وهلك من هلك من هذه الأمة.

قالوا له: نعلم بعضه فأما كله فلا

قال الصادق عليه السلام: فمن هاهنا أتيتم، فأما ذكرتم من أخبار الله إيانا في كتابه عن القوم الذين أخبر عنهم بحسن فعلهم، فقد كان مباحاً جائزاً ولم يكونوا نهوا عنه، وثوابهم من الله عز وجل، وذلك أن الله تعالى جل وتقدس أمر بخلاف ما عملوا به، فصار أمره ناسخاً لفعلهم، وكان الله تبارك وتعالى نهى رحمة منه للمؤمنين ولكيلا يضروا بأنفسهم، وعيالهم منهم الضعفة الصغار والولدان والشيخ الفاني والعجوز الكبيرة الذين لا يصبرون على الجوع، فإن تصدقت برغيفي ولا رغيف لي غيره ضاعوا وهلكوا جوعاً، فماتوا ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله:" خمس تمرات أو خمسة دنانير أو دراهم يملكها وهو يريد أن ينفعها، فأفضلها ما أنفقه على والديه، ثم على نفسه وعياله ثم على قرابته من الفقراء، ثم على جيرانه الفقراء، ثم في سبيل الله " وقال صلى الله عليه وآله في الأنصاري الذي أعتق عند موته ستة من الرقيق لم يملك غيرهم، وله أولاد صغار: " لو أعلمتوني أمره ما تركتكم تدفعونه مع المسلمين: يترك صبيانه يتلففون الناس ". حدثني أبي أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: " ابدأ بمن تعول الأدنى فالأدنى)[١٤].

هذا ما نطق به الكتاب رداً لقولكم قال العزيز الحكيم ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾[١٥]. أفلا ترون أن الله تبارك وتعالى قال غير ما أراكم تدعون إليه من الأثرة على أنفسكم وسمى من فعل ما تدعون مسرفاً، وغير آية من كتاب الله تقول: ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾[١٦] فنهاهم عن الإسراف، ونهاهم عن التقتير، فلا يعطي جميع ما عنده، ثم يدعو الله أن يرزقه فلا يستجيب للحديث الذي جاء عن النبي صلى الله عليه وآله:" إن أصنافاً من أمتي لا يستجاب دعاؤهم: رجل يدعو على والديه، ورجل يدعو على غريم ذهب له بمال فلم يكتب عليه ولم يشهد عليه، ورجل يدعو على امراته وقد جعل الله عز وجل تخلية سبيلها بيده، ورجل يقعد في بيته، ويقول رب ارزقني، ولا يطلب الرزق، فيقول الله عز وجل يا

عبدي ألم أجعل لك السبيل الى الطلبة والضرب في الأرض بجوارح صحيحة، فقد أعذرت فيما بيني وبينك في الطلب لاتباع أمري، ولكيلا تكون كلاً على أهلك " فإن شئت رزقتك وأن شئت قترت عليك وأنت معذور عندي، ورجل رزقه الله عز وجل مالاً كثيراً فأنفقه ثم أقبل يدعو: يا رب ارزقني، فيقول الله عز وجل: ألم أرزقك واسعاً فهلا اقتصدت كما أمرتك ولم تسرف فيه وقد نهيتك عن الإسراف، ورجل يدعو في قطيعة رحم)[١٧] وهكذا يسترسل الإمام الصادق عليه السلام في مناظراته ليثبت أن الزهد الاكتفاء بالحلال، وليس التجرد من الحلال وتحريم طيبات ما أحل الله.

ويرى الباحث أن الإمام جعفر الصادق عليه السلام في هذه المناظرة يناقش مجادليه وهو مقيم عليهم الحجة من خلال الاستدلال بالنصوص القرآنية، وهذا بحد ذاته دليل على تمسك الإمام عليه السلام بالكتاب والاستدلال به.

الخاتمة:ـ

وفي نهاية بحثي هذا توصل الى النتائج الآتية:

١.اعتمد الامام الصادق عليه السلام على النصوص القرآنية والنبوية الشريفة في عملية التعليم إقتداء بجده محمد صلى الله عليه وآله.

٢؟ استخدم الامام الصادق عليه السلام طريقة المناظرة مع تلامذته لما لهذا الاسلوب من أثر في النفس البشرية إذ تنمي في النفس همة عالية تدفعها الى الجد والعمل على تغير السلوك نحو الأفضل.

٣. كان الامام الصادق عليه السلام حريصاً على طلابه إذ كان يحضر ويدير المناقشات بين طلابه وبينهم وبين المناقشين من غيرهم.

٤. كان الامام الصادق مثابراً على تعلم طلابه وأصحابه ونشر علوم أهل البيت عليهم السلام.

هوامش البحث

(١) لسان العرب، ابن منظور، المجلد ٥: ٢١٧-٢١٩
(٢) اداب الحديث، الشنطيطي: ١٣٩
(٣) معجم التعريفات، الجرجاني: ١٩٥
(٤) المناظرات في الاندلس، رسالة الآداب في علم آداب الحديث والمناظرة، عصام الدين: ١٤
(٥) المصدر نفسه: ١٢
(٦) المصدر نفسه: ١٠
(٧) أدب الحوار والمناظرة، علي جريشة: ٦٦
(٨) الحوار والمناظرة في الاسلام، إبراهيم السنيدي: ٤٧
(٩) الحوار في الاسلام، عبد الله حسين الموجان: ١٨٥
(١٠) رسالة في فن الالقاء والحوار والمناظرة، علي الفتلاوي: ٧٧
(١١) المدخل الى فن المناظرة، عبد اللطيف سلامي: ٤٩-٥٠
(١٢) سورة الحشر آية ٩
(١٣.سورة الانسان آية ٨
(١٤) الكافي، الكليني، ج٥: ٦٦
(١٥) سورة الفرقان آية ٦٧
(١٦) سورة الاعراف آية ٣١
(١٧) الكافي: ج٦: ٦٧

قائمة المصادر والمراجع

إن خير ما نبتندىء به القرآن الكريم

- ابن منظور، أبي الفضل جمال الدين محمد مكرم، **لسان العرب**،ط١، دار صادر، بيروت: لبنان، د.ت
- جريشة، علي، **أدب الحوار والمناظرة** ، ط١، دار الوفاء للطباعة، المنصورة، ١٩٨٩
- سلامي، عبد اللطيف، **المدخل الى فن المناظرة**، ط١، دار بلومزبري، الدوحة: قطر، ٢٠١٤
- السنيدي، ابراهيم بن عبد الكريم، **الحوار والمناظرة في الاسلام**، مجلة جامعة ام القرى، العدد ٤٦، ١٤٣٠هـ
- الشنقيطي، محمد الامين بن محمد، **آداب الحديث والمناظرة**، دار الراجحي،ب.ت
- طاش، عصام الدين، **المناظرات في الاندلس**، ط١، دار الظاهرية للنشر، الكويت ٢٠١٢
- الفتلاوي، علي، **رسالة في فن الإلقاء والحوار والمناظرة**، ط١، العتبة الحسينية المقدسة، كربلاء، ٢٠٠٨
- الكليني، الكافي، ١٣٨٨هـ.
- الموجان، عبد الله بن حسين، **الحوار في الاسلام**، ط١، مطبعة مركز الكون، مكة المكرمة، ٢٠٠٦.